العلاقات العربية البيزنطية قبيل الإسلام: رحلة "الحارث بن جبلة" إلى القسطنطينية عام ٥٦٣ م أنموذجًا

Arab-Byzantine Relations Prior to Islam: The Journey of Al-Harith bin Jabala to Constantinople; year 563 AD as an Example

د/ أميرة محمد شحاتة
مدرس تاريخ العصور الوسطى
قسم التاريخ والحضارة
كلية الآداب جامعة بورسعيد

في الوقت الذي رحل فيه قادة الإمبراطور جستنيان (٥٢٧– ٥٦٥م) لاسترداد الأجزاء الغربية من الإمبراطورية، نجد أنه عمل جاهدًا للمحافظة على مناطق النفوذ عبر الحدود الشرقية متبعًا في ذلك أساليب متعددة، وكان من أبرزها استضافة وفود زعماء تلك الشعوب.

وقد أدت سياسة البيزنطيين – نظرًا لحالة الضعف التي اعترت نظام حكمهم على الصعيد الداخلي والخارجي، وغارات القبائل البدوية على الحدود البيزنطية بالشام – إلى تغير سياستها تجاه العرب خلال القرن الثالث الميلادي، وكان من أبرز ملامح هذا التغير: تمليك بعض الزعامات العربية التي نزحت إلى الشام واستقرت بها، وتكليفهم بمهمة حراسة تلك الحدود، التي تطورت فيما بعد حتى أصبحت مُلكًا يورث من الأباء إلى الأبناء وفقًا لنظم خاصة، مما كان له أبلغ الأثر في السياسة الإقليمية للمنطقة.

وقد تعاون عرب الغساسنة الذين انتقلت إليهم مشيخة العرب الموالين للبيزنطيين في عهد الإمبراطور إنستاسيوس إبان الحرب مع الفرس (٥٠٢– ٥٠٥ م). على أن شهرة الغساسنة بدأت في عهد الحارث بن جبلة المعاصر للإمبراطور جستنيان، الذي سافر إلى القسطنطينية فبلغها في تشرين الثاني عام ٥٦٣ م، وقد استهدف من رحلته هذه عدد من الأهداف التي أشارت لها المصادر اليونانية والسريانية، والتي حاولت الدراسة رصدها في ضوء الظروف التاريخية التي كانت قائمة آنذاك، ورصدت الدراسة آثار الرحلة على الطرفين البيزنطي والغساني، وقدمت تحليل من خلال بعض المشاهدات المرتبطة بهذه الرحلة كونها صفحة من العلاقات العربية البيزنطية قبل الإسلام.

الكلمات المفتاحية: جستنيان – بيزنطة – العرب قبيل الإسلام – الغساسنة

Arab-Byzantine Relations Prior to Islam: The Journey of Al-Harith bin Jabala to Constantinople The Year 563 AD as an Example

At the time when the leaders of Emperor Justinian (527-565 AD) departed to recover the western parts of the empire, it is found that he worked hard to preserve the areas of influence across the eastern borders, using various methods, and he frequently hosted delegations from those peoples. As a result of the weaknesses in the Byzantine regime at the internal and external levels during the third century AD, and the presence of Bedouin tribes on the Byzantine borders in the Levant, the policy of the Byzantines led to a change in its policy towards the Arabs, particularly the Arabs residing in the Levant. One of the most prominent features of this change was the conveyance to some Arab leaders who migrated to Levant and settled in it, assigning them the task of guarding those borders, as this task developed until it became a

property that had an impact on regional politics. The Ghassanid Arabs, to whom the Arab sheikhdom partisan of the Byzantines moved, cooperated during the reign of Emperor Anastasius during the war with the Persians (502-505 AD). However, the Ghassanid fame began during the reign of Al-Harith bin Jabala, a contemporary of Emperor Justinian. Al-Harith traveled to Constantinople and reached it in November of the year 563 AD. From this trip, he targeted a set of goals referred to in some Greek and Syriac sources, which the study tries to monitor in the light of the historical conditions that existed. The study also attempts to focus on the effects of the trip on the Byzantine and Ghassanid sides, and to depict some scenes related to this trip as a page of Arab-Byzantine relations prior to Islam.

Keywords: Justinian, Byzantium, Arabs prior to Islam, Ghassanids.

العلاقات العربية البيزنطية قبيل الإسلام: رحلة الحارث بن جبلة إلى القسطنطينية عام ٥٦٣ م أنموذجًا

المقدمة: في الوقت الذي رحل فيه قادة الامبراطور جستنيان (٥٢٧– ٥٦٥ م) لاسترداد الأجزاء الغربية من الإمبراطورية الرومانية، فأنه عمل جاهدًا على المحافظة على مناطق النفوذ عبر الحدود، وبذل قصارى جهده في ضم شعوب جديدة متبعا في ذلك أساليب متعددة: أولها تقديم العطايا إلى تلك القبائل التي استقرت على أطراف امبراطوريته على شكل أعانات سنوية، وشكل الذهب والفضة الوسيلة الأولى والمباشرة في التأثير على تلك القبائل، ومقابل هذه الأموال قامت تلك الجماعات بحماية حدود الإمبراطورية بالعتاد والجند، وامتدت العطايا السنوية لتشمل قبائل الهون في شبه جزيرة القرم، والأمراء العرب على الحدود الجنوبية الشرقية، وحكام الحبشة والأفار وغيرهم. ومن الوسائل الأخرى التي اتبعها الامبراطور جستنيان إنعامه على رؤساء تلك القبائل والجماعات بالالقاب والرتب، وما لزمها من مرتبات خاصة بكل رتبة، هذا فضلا عن التيجاج الذهبية والثياب الحريرية المطرزة بالذهب التي كانت على شاكلة ثياب الامبراطور(١).

وقد أكثر الامبراطور "جستنيان" من استضافة الوفود من الشعوب والقبائل الساكنة على أطراف مملكته؛ فكانت عاصمته _ القسطنطينية _ تعج بأفواج متتابعات من زعماء الشعوب والجماعات المحيطة بالإمبراطورية الرومانية، بخاصة من مناطق الحدود الشرقية، الذين حضروا برفقة زوجاتهم وأبنائهم وحاشيتهم وخدمهم، حتى بدت المدينة كمعرض لكل أزياء العالم ولغاته، وأغدق عليهم جميعًا الهدايا والمنح.

---

*) الغساسنة: "كان آل جفنة عمال القياصرة على عرب الشام. كما كان آل نصر عمال الأكاسرة على عرب العراق، وأصلهم من اليمن من الأزد، لأن الأزد لما أحسّت تقارب إنتقاص العرم، وهي بلغة حمير إسم للمسناة وخشيت السيل تفرقت. فتشام قوم نزلوا على ماء يقال له غسان فصيروه شربهم فسموا غسان. ثم أنزلهم ثعلبة بن عمرو الغساني ببادية الشام والملوك بها من قبل القياصرة." حمزة بن الحسن الأَصْفَهاني (المتوفى: ٣٦٠ هـ)، *تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام*، (بيروت : دار مكتبة الحياة ، ١٩٦١م)، ص ٨٩ ؛ وهب بن منبه، *التيجان في ملوك حمير*، تحقيق ونشر/ مركز الدراسات والابحاث اليمنية، (صنعاء، ١٩٧٩) ، ص ص ٢٩٧–٣٠٣.

فالغساسنة حكومة للعرب على الضفة الغربية من بادية الشام، التي امتدت نحو ستة قرون، ابتدت من جفنة بن عمرو، وانتهت بجبلة بن الأيهم بمجيء الاسلام، وظلت عاصمة الغساسنة في مدن مختلفة، تجاور مدينة دمشق. محمد الرابع الحسني الندوي، "حكومات جزيرة العرب: البطراء، تدمر، كندة، الحيرة، غسان، حمير وتبع" *البعث الإسلامي*، مج ٦٢، ع٢، (٢٠١٦)، ص ٤٣.

١) محمد فتحي الشاعر، *السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي عصر جوستنيان*، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩)، ص ١٦٢.

وقد ساعدت الخصائص الجغرافية لمنطقة شمال شبه الجزيرة المتصلة _ دون فواصل مميزة مع الصحراء الشامية _ القبائل العربية على التجوال على طول خطوط التماس للصحراء العربية والشامية للرعي، وسهلت لها أعمال السطو على مدن الشام الزاهرة كلما سنحت الفرصة إلى ذلك سبيلا، وشعرت الامبراطورية الرومانية الكبرى خطر حركات البدو على تخومها الشرقية، واشتبكت معهم في مصادمات كر وفر مررات متعددة؛ الأمر الذي اضطرها إلى إقامة سلسلة من الحصون والقلاع على حدودها المطلة على بلاد العرب الشمالية، وشحنتها بحاميات لصد هذه الغارات المتكررة من البدو. وكان من الطبيعي أن ترث الإمبراطورية البيزنطية عن أمها "الإمبراطورية الرومانية" سياسة تأمين حدودها الشرقية، ويمكن تشبيه الحصون الشامية بالحصون الرومانية على حدود الدانوب، التي أقيمت للدفاع عن أراضيها ضد الإغارات الجرمانية(٢).

وبعد اندثار مملكة الأنباط وتدمر، دخلت بلاد الشام وباديتها مرحلة جديدة من تاريخها اتسمت بعدم الوضوح؛ إما لضآلة دورها الحضاري العربي بالمقارنة بمن سبقهم من الأمم العربية التي حكمت الشام خلال الحقب التاريخية السابقة، أو لأنهم وقعوا تحت ضغوط المستعمر الروماني، غير أن هذه المرحلة التي غاب فيها الدور العربي عن مسرح الأحداث لم يستمر طويلا، حيث أدت سياسة الرومان نتيجة لحالات الضعف التي كانت تعتري الحكم الروماني على الصعيدين الداخلي والخارجي خلال القرن الثالث الميلادي، وتطفل القبائل البدوية على التخوم الرومانية الشرقية ببلاد الشام إلى تغيير سياستها تجاه العرب المقيمين في الشام، وكان من أبرز ملامح هذا التغير: تمليك بعض الزعامات العربية التي نزحت واستقرت بها أجزاء منها، وتكليفهم بمهمة حراسة تلك الحدود والتي تطورت لتصير هذه المهمة ملكًا له أثره في السياسة الإقليمية، وممن تولى ملك الشام في هذه المرحلة قضاعة بن مالك بن حمير أواخر القرن الرابع الميلادي(٣).

الدراسات السابقة:

❖ **ثيودور نولدكه، *أمراء غسان من آل جفنة*، ترجمة/ بندلي جوزي وقسطنطين زريق (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩٣٣)**

ويعد "ثيودور نولدكه" أول من استعمل مادة المؤرخين البيزنطيين لإلقاء الضوء على تاريخ العرب قبل الإسلام، وقد مكنه ذلك من وضع إطار زمني للأحداث، واستطاع أن يثبت صحة عدد كبير من وقائع العرب مستعينا بالمصادر السريانية، على الرغم من أنه قدم تأريخًا موجزًا لإمارة الغساسنة إلا أن الدارسين لا يزالون يرجعون إليه حتى اليوم.

❖ **نينا فكتورفنا بيغوليفسكيا: *العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي*، ترجمة صلاح عثمان، المجلس الوطني للثقافة، ١٩٦٤**

وتعتبر "نينا فكتورفنا" من علماء البيزنطيات، وشاركت بهذه الصفة في عدد من مؤتمرات الدراسات البيزنطية، ويتضح من دراستها أنها أفادت كثيرا من الحوليات البيزنطية المدونة باللغة اليونانية لتستخرج مادتها التي تمس العرب، وتمس سياسة بيزنطة مع المنطقة، فضلا عن معرفتها الجيدة باللغتين الكلاسيكيتين، فقد تمكنت أيضا بسبب معرفتها العريضة باللغات السامية أن تستفيد من المادة المدونة بها.

---

٢) إبراهيم أحمد العدوي، *الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية*، (مكتبة نهضة مصر، ١٩٥١م)، ص ١٨؛ ابراهيم أحمد العدوي، *الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم*، (رياض الصالحين ، ١٩٩٤)، ص ١٧.

٣) جهاد يوسف عبدو، وخضر آدم عيسى، *السياسة الخارجية للغساسنة (من ٤٥٠ إلى ٦٣٦م)* رسالة ماجستير، جامعة النيلين، الخرطوم، (٢٠٠٢)، ص ١٣-١٤.

❖ **جهاد يوسف عبدو، وخضر آدم عيسى، *السياسة الخارجية للغساسنة (من ٤٥٠ إلى* ٦٣٦م تقريبا) رسالة ماجستير، جامعة النيلين، الخرطوم، ٢٠٠٢.**

وهي رسالة ماجستير غير منشورة تقع في خمسة فصول؛ وتميزت بمحاولة نقد أراء المستشرقين حول ملوك الغساسنة وحقيقة علاقاتهم بالروم، وقد أفادت الدراسة من فصلها الأول (نشأة الكيان السياسي للغساسنة)، وفصلها الثاني (علاقة الغساسنة بالروم). وعلى الرغم من أن الرسالة عدت علاقة الغساسنة بالروم من أبرز العلاقات الخارجية للغساسنة وأكثرها تأثيرا على كيانهم السياسي، وأشارت إلى رحلة الحارث إلى بيزنطة، وتناول بعض جوانب من أهداف الرحلة، إلا أنه لم يشير لمصادر هذه المعلومات. وتحاول هذه الدراسة جمع أهداف الرحلة في ضوء عدد من المصادر البيزنطية والسريانية.

❖ **شكران خربوطلي، ويونس محمد، *العلاقات السياسية البيزنطية الغسانية في القرن السادس الميلادي*"، ص٣٣٣-٣٤٤ مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية - سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مج٣٩ ع٢ (٢٠١٧)**

وعلى الرغم مما يتضح من العنوان وهو العلاقات السياسية فقط إلا أن البحث يتضمن إشارات عن العلاقات الدينية في غاية الأهمية، وإن اتسم هذا البحث بالإيجاز الشديد، كما أنه لم يشير للرحلة التي نحن بصدد دراساتها بشكل مباشر وإن كان قد أشار لأثرها.

❖ **عبدالسلام محمد الكيلاني، "رحلة امرئ القيس إلي بيزنطة"، مجلة روافد المعرفة، ع٧(٢٠٢٠): ٢١-٣٩.**

وهذه الدراسة إن لم تتناول موضوع البحث إلا إنها تشاركه الفكرة، فقد كانت الظروف مهيأة لتجعل من الذهاب إلى بيزنطة محاولة يمكن أن يكتب لها النجاح، فالعلاقات متوترة بين بيزنطة وفارس، والمناوشات مستمرة بين ممثلي الدولتين-الحيرة والغساسنة- في شمال الجزيرة. وفي الوقت الذي تحاول هذه الدراسة الاعتماد على المصادر البيزنطية والسريانية للاجابة على هذه التساؤلات، نجد بحث "رحلة امرئ القيس إلي بيزنطة" يجيب على بعض الاستفسارات نظرا لاعتماده على مصدرا مهم وحيوي آلا وهو الشعر، من خلال رصد رحلة امرئ القيس إلى بيزنطة من خلال شعره، صورت القصائد مشاعر صاحبها النفسية، ومترجما إياها بمنأى عن ديار أهله، في مدن يراها للمرة الأولى.

❖ **سهام محمد عبد العظيم، *"زيارات ملوك الغساسنة للقسطنطينية ٥٦٣-٥٨٣م"*، مجلة بحوث كلية الاداب-جامعة المنوفية، العدد ٩٢، (يناير ٢٠١٣م)، ص٢٢٩-٢٥٠**

وهي الدراسة الأقرب لهذا البحث، واستعرضت ثلاث من زيارات حكام متتابعين من آل غسان إلى القسطنطينية: وهم الحارث بن جبلة ثم ابنه المنذر ثم حفيده النعمان، رصدت خلالها أهداف زيارة الحارث بن جبلة، وركزت على الأهداف الدينية، وأشارت سريعًا للاهداف العسكرية، ومسألة وراثة الحكم، وهو الأمر الذي يتناوله هذا البحث بالتفصيل في ضوء الظروف التاريخية المعاصرة ، وأثر الرحلة ليس فقط على أهالي القسطنطينية بل على الغساسنة والحيرة أيضًا.

وفي هذا البحث يتم دراسة رحلة الحارث بن جبلة فقط إلى القسطنطينية من خلال الاجابة على **التساؤلات التالية** لتشمل جميع جوانب الرحلة على النحو التالي .

- متى كانت تلك الرحلة؟ ما الهدف منها؟
- من رافق الحارث في تلك الرحلة؟

- ما أثر الرحلة على كلٍ من البيزنطيين والغساسنة؟
- هل اتسمت نتائج الرحلة بالنجاح أم الفشل؟ ولماذا؟
- هل كانت هذه رحلة فريدة لحكام العرب قبيل الإسلام لبيزنطة؟

تقديم: نظر العرب إلى الامبراطورية البيزنطية على أنها القوى العظمى التي لا يمكن قهرها، لما كان لها من حضارة عريقة وانتصارات عسكرية سجلها التاريخ، وكنيسة منفردة اجتمع حولها أهل الشرق والغرب. وامتدت الحضارة البيزنطية إلى المناطق المتاخمة للدولة البيزنطية خاصة بلاد الشام ومصر وشمال إفريقية وهي ولايات تابعة لها. وكانت القسطنطينية هي العاصمة المركزية لها، وكانت بالنسبة للعرب قلعة حصينة لا يجرؤ أحد ممن يقطنون جوارها أن يفكر في اقتحام هذه العاصمة والنيل منها، خاصة وأن الأباطرة البيزنطيين احسنوا اختيار موقعها، وتفوقوا في تحصينها برأ وبحرأ. وكان البيزنطيون ينظرون إلى العرب نظرة دنيا، فقد رأوا فيهم مجرد بدو يغيرون على أراضيهم؛ لذا يحب إيقافهم عند حدهم . أيضأ كان انشغالهم الدائم بالصراع مع الفرس سببأ في عدم غض الطرف عن العرب القاطنين في الجزيرة العربية، وقد بدا هذا في اهتمامهم الملحوظ بالتجارة المارة عبر أراضي العرب[٤].

تعاون عرب الغساسنة[٥] الذين انتقلت إليهم مشيخة العرب الموالين للرومان في عهد انستاسيوس (٤٩١– ٥١٨ م) إبان الحرب مع الفرس (٥٠٢– ٥٠٥ م)؛ على أن شهرة الغساسنة بدأت في عهد "الحارث بن جبلة[٦]" المعاصر للامبراطور جستنيان، الذي مارس جهودًا عسكريًة ودبلوماسيًة ودينيًة طوال عصر "جستنيان"، ومنحه هذا الأخير ألقابًا لم يحظ بها شيخٍ عربيٍ من قبل طوال علاقتهم مع الرومان.

---

٤) طارق منصور، *بيزنطة والعالم الخارجي البيزنطيون والعالم الإسلامي*، ، (القاهرة : مصر العربية للنشر، ٢٠٠٣) ، ص ص ٢٧– ٢٨.

٥) كان من نتيجة الصراع الذى نشب بين الفرس والبيزنطيين، وغارات العرب على أملاك الدولة البيزنطية، أن أقامت الدولة البيزنطية إمارة تابعة لها هى إمارة غسان التى يعود تاريخها إلى الفترة التى خرب القادة الرومان فيها مدينة تدمر عام 202 م، وفوض الرومان أمورهم في هذه المناطق إلى الأمراء التنوخيين ثم إلى السليحيين الذين قضت قبيلة غسان على ملكهم في عام ٢٩٩ م، ولما كانت بلاد الشام تؤلف منطقة الحدود الشرقية فى الإمبراطورية البيزنطيةن كان على أباطرة بيزنطة أن يهتموا بهذه المنطقة، ويعطوها من اهتمامهم النصيب الأوفر، ولذا اغدقوا الأمول على بعض القبائل العربية حتى استطاعوا اتخاذهم صنائع لهم على تخوم البادية، يستعينون بهم فى ضد غارات البدو الذين كانوا يغيرون على المناطق المتحضرة وينهبونها. وكان قبيلة قضاعة أول من قدم من العرب فى صحبة ملكهم مالك بن فهيم بن تيم الله. وقيل أن الرومان ملّكوا القضاعيين على العرب ببلاد الشام بعد أن دخلوا فى النصرانية، ولم يلبث ان انتقل الملك إلى بنى سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، وفي نفس الآونة تحركت قبائل الازد اليمنية على إثر انهيار سد مأرب إلى شمال الجزيرة العربية فسار بطن منها إلى الشام وأقاموا على ماء هناك يقال له غسان. ولما نزلت غسان بجوار سليم فرضت عليهم الإتاوة، وظل الغساسنة يؤدونها حتى قامت الحرب بينهم، وانتصرت غسان فى النهاية وانفردت بالسلطة دونها، وخضع عرب الشام لسلطانهم، وعقد معهم البيزنطيون حلفًا قام مقام حلفهم مع عرب الضجاعمة. طارق منصور، *بيزنطة والعالم الخارجي البيزنطيون والعالم الإسلامي*، ص ص ٢٢– ٢٣.

٦) الحارث بن جبلة: أعظم ملوك الغساسنة وأكثرهم نشاطا على الصعيد الداخلى والخارجي لمملكة الغساسنة، لقبه المؤرخون بالحارث الأكبر، وكان معاصرًا للإمبراطور الروماني جستنيان (٥٢٧– ٥٦٥م)، وكسرى اونشروان (٥٣١– ٥٧٩م)، والمنذر بن النعمان ملك الحيرة الملقب بماء السماء. جهاد يوسف عبدو، وخضر آدم عيسى، السياسة الخارجية للغساسنة (من ٤٥٠ إلى ٦٣٦م)، ص٤٩. وأمه مارية ذات القرطين بنت عمرو بن جفنة، وكان مسكنه بالبلقاء وبنى بها الحفير ومصنعه بين دعجان وقصر أبير ومعان، وكان ملكه عشر سنين. الأَصْفَهاني ، *تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام*، ص ٩١؛ أسد رستم، *الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب*، (لبنان: دار المكشوف، ١٩٥٥) ج ١، ص ١٨٧.

وقد اشتملت خدمات "الحارث ابن جبلة" للرومان على الجوانب العسكرية والدبلوماسية والدينية: فعلى الصعيد العسكري فقد دافع عن الأراضي الرومانية بردع المعتدين في عقر دارهم، وقام الحارث بغارة انتقامية على أراضي الحيرة والقلاع الفارسية المجاورة استطاع من خلالها ضرب "المنذر(٧)" أمير الحيرة في عقر داره بعد أن لاذ بالفرار في ابريل من عام ٥٢٨ م. وفي نفس الوقت أصبح الحارس الأمين للضرب على أيدي المتمردين على السلطة في داخل أراضي الإمبراطورية نفسها، إذ استطاع القضاء على ثورة السامرين ٥٢٩ م(٨)، بعد أن عجزت قوات الأمن والحامية البيزنطية هناك في القضاء عليها، وتمكن من أسر الآلاف منهم وبيعهم في سوق النخاسة، وذكر له بعض المؤرخين أنه تم الاستعانة بقوات "الحارث" في ردع ثورة السامريين _ اليهود _ وإنهم من القوات التي دعمت فرق الفرسان التي حققت النصر في دارا(٩). كما ذكر المؤرخ ملالاس

---

٧) "كان المنذر ابن المنذر لما ملك جعل ابنه النعمان في حجر عدي، فهم الذين أرضعوه وربوه، وكان للمنذر ابن آخر يقال له الأسود، أمه مارية بنت الحارث بن جلهم من تيم الرباب، ارضعه، ورباه قوم من أهل الحيرة يقال لهم بنو مرينا، ينسبون إلى لخم، وكانوا أشرافا وكان للمنذر بن المنذر سوى هذين من الولد عشرة، وكان يقال لأبنائه كلهم الأشاهب من جمالهم، فذلك قول الأعشى : بنو المنذر الأشاهب بالحيرة ... يمشون غدوة بالسيوف

وكان النعمان أحمر أبرش قصيرا، وكانت أمه يقال لها سلمى بنت وائل بن عطية الصائغ من أهل فدك، وكانت أمه للحارث ابن حصن بن ضمضم بن عدي بن جناب من كلب، وكان قابوس بن المنذر الأكبر عم النعمان وإخوته، بعث إلى كسرى بن هرمز بعدي بن زيد وإخوته، فكانوا في كتابه يترجمون له، فلما مات المنذر بن المنذر وترك ولده هؤلاء الثلاثة عشر، جعل على أمره كله إياس بن قبيصة الطائي وملكه على الحيرة إلى أن يرى كسرى رأيه فكان عليه أشهرا، وكسرى في طلب رجل يملكه على العرب ثم إن كسرى بن هرمز دعا عدي بن زيد، فقال له :من بقي من بني المنذر؟ وما هم؟ وهل فيهم خير؟ فقال :بقيتهم في ولد هذا الميت المنذر بن المنذر، وهم رجال، فقال: ابعث إليهم، فكتب فيهم فقدموا عليه، فأنزلهم على عدي بن زيد، فكان عدي يفضل إخوة النعمان عليه في النزل، وهو يريهم أنه لا يرجوه ويخلو بهم رجلا رجلا، ويقول لهم: إن سألكم الملك: اتكفوني العرب؟ فقولوا: نكفيكهم إلا النعمان، وقال للنعمان: إن سألك الملك: عن إخوتك فقل له: إن عجزت عنهم، فأنا عن غيرهم أعجز.

وكان من بني مرينا رجل يقال له عدي بن أوس بن مرينا، وكان ماردا شاعرا، وكان يقول للأسود بن المنذر: إنك قد عرفت أني لك راج، وأن طلبتي ورغبتي إليك أن تخالف عدي بن زيد، فإنه والله لا ينصح لك أبدا فلم يلتفت إلى قوله. فلما أمر كسرى عدي بن زيد أن يدخلهم عليه، جعل يدخلهم عليه رجلا رجلا، فيكلمه، فكان يرى رجالا قلما رأى مثلهم، فإذا سألهم: هل تكفونني ما كنتم تلون؟ قالوا: نكفيك العرب إلا النعمان فلما دخل عليه النعمان رأى رجلا دميما فكلمه، وقال له: أتستطيع أن تكفيني العرب؟ قال: نعم: قال، فكيف تصنع بإخوتك؟ قال: إن عجزت عنهم فأنا عن غيرهم أعجز، فملكه وكساه، وألبسه تاجا قيمته ستون ألف درهم، فيه اللؤلؤ والذهب مفلما خرج– وقد ملك –قال عدي بن أوس بن مرينا للأسود: دونك فإنك قد خالفت الرأي ثم إن عدي بن زيد صنع طعاما في بيعة، ثم أرسل إلى ابن مرينا أن ائتني بمن أحببت، فإن لي حاجة، فأتاه في ناس فتغدوا في البيعة، وشربوا، فقال :عدي بن زيد لعدي بن مرينا: يا عدي، إن أحق من عرف الحق ثم لم يلم عليه، من كان مثلك، إني قد عرفت أن صاحبك الأسود بن المنذر كان أحب إليك أن يملك من صاحبي النعمان، فلا تلمني على شيء كنت على مثله، وأنا أحب ألا تحقد علي شيئا لو قدرت عليه ركبته، وأنا أحب أن تعطيني من نفسك ما أعطيتك من نفسي، فإن نصيبي من هذا الأمر ليس بأوفر من نصيبك فقام عدي بن زيد إلى البيعة فحلف ألا يهجوه ولا يبغيه غائلة أبدا، ولا يزوي عنه خبرا أبدا فلما فرغ عدي بن زيد قام عدي بن مرينا، فحلف على مثل يمينه الا يزال يهجوه أبدا، ويبغيه الغوائل ما بقي وخرج النعمان حتى نزل منزله بالحيرة..." أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠ هـ)، *تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك*، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم [ت ١٩٨٠ م]، (مصر: دار المعارف، ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧ م) المجلد الثاني، ص ص ١٩٤–١٩٦.

٨) Malalas, *the chronicle of John Malalas*, trans. Elizabeth Jeffrey and Michael Jeffrey (Melbourn, 1986) p. 261.

للمزيد انظر: محمد عثمان عبدالجليل، "السامريون في فلسطين وعلاقتهم بالدولة البيزنطية٦٣١– ٣٠٥ م" *مجلة المؤرخ المصري*، ع ٢٨ (٢٠٠٥) ص ٨٦.

٩) سهام محمد عبد العظيم، "الاستراتيجية والتكتيك العسكري البيزنطي في عهد جستنيان" *مجلة المؤرخ المصري* ع ٣٣ (٢٠٠٨)، ص ١٠٠.

مشاركته في الوقت التي تجاهلها بروكوبيوس بعدما استجاب طلب "جستنيان" التعاون مع "بليزريوس" للتصدي للفرس، عندما دارت معركة الرقة، وعلى الرغم من أن نتيجة المعركة لم تكن في صالح الرومان(١٠)، إلا أنه قد أبلى بلاء ذكره له المؤرخون.

أما من الناحية الدبلوماسية: فقد أرسله الامبراطور "جستنيان" على رأس وفد دبلوماسي لمحاولة إقناع "ابرهة الحبشي المسيحي" حاكم اليمن للانضمام إلى جانب الرومان في الصراع الدائر بين بيزنطة والفرس عام ٥٣٩ م(١١). وبعد ما تمكن "الحارث بن جبلة" من شن غارة ناجحة ضد الأراضي الفارسية عام ٥٤١، كافأه الامبراطور "جستنيان" بأن منحه لقب "شريف" بما له من عطايا وهبات في العام التالي، وكان "جستنيان" قد أقر نظام الطبقات الذي نشأ منذ أيام دقلديانوس، وقسمها إلى أشراف وممتازين ومحترمين وأصفياء وأمجاد(١٢).

أولا: تاريخ الرحلة

ويرجع تاريخ سفر "الحارث ابن جبله" إلى مدينة القسطنطينية إلى تشرين الثاني عام ٥٦٣ م(١٣)، ويحدد ثيوفانيس(١٤) تاريخ الزيارة ٥٥٦ م عامًا للتجسد الإلهي، والعام ٣٧ من حكم جستنيان "إمبراطور الرومان (٣٨ سنة)"، والعام ٣٩ من حكم كسرى ملك الفرس (٤٨ عام)، العام الثالث ليوحنا أسقف روما (٨ سنوات)(١٥).

---

١٠) نينا فكتورفنا بيغوليفسكيا: *العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي*، ترجمة صلاح عثمان، (المجلس الوطنى للثقافة،١٩٦٤) ، ص٣٢٦-٣٢٧ ؛ محمد فتحي الشاعر، *السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية* ، ص ١٦٧-١٦٨؛ مالك حايف محمود الجبوري، ومحمد نايف جريوان العمايرة، *دور الممالك العربية في الصراع الساساني البيزنطي ٢٢٦-٦٣٧م*، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، الأردن،(٢٠١٥) ، ص٨٢ .

١١) محمد فتحي الشاعر، *السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية*، ص ١٦٧-١٦٨.

١٢) محمد فتحي الشاعر، *السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية*، ص ١٦٩.

١٣) جهاد يوسف عبدو، وخضر آدم عيسى، *السياسة الخارجية للغساسنة*، ص ٧٦.

١٤) ولد ثيوفانيس عام ٧٦٠م في عائلة نبيلة وغنية، توفى والده – الذي كان حاكمًا لإقليم ببحر إيجة – بينما كان الأبن ثيوفانيس ما يزال شابا، تاركا له ثروة كبيرة، وأمضى ثيوفانيس شبابه في "الصيد وركوب الخيل" وتزوج امرأة بثراء مماثل له. ودخل الخدمة الإمبراطورية برتبة (Strator)، وكانت مهمته الإشراف على إعادة بناء التحصينات في سزيكس Cyzicus. ولكنه قرر التخلي عن ممتلكاته ومنصبه ليصبح راهبًا. وقد أسس ديرًا في جزيرة Kalonymos وقضى به نحو ست سنوات. ثم أشرف في وقت لاحق على بناء دير آخر في أغروس في البيثنيةAgros in Bithynia حيث قضى معظم حياته هناك. وعندما رفض الموافقة على السياسات الأيقونية لليو الخامس (٨١٣- ٨٢٠) وضع تحت الحراسة ثم نفي، وتوفى بعد ٢٣ يوم من نفيه الموافق ١٢ مارس ٨١٨ م.

Hoyland, R. G., *Seeing Islam As Others Saw It A Survey and Evaluation of Christian*, Jewish and Zoroastrian, Writings on Early Islam (the Darwin Press, Inc. Princeton, New Jersey ,1997), pp. 428-429.

لقد دون ثيوفانس في مدونته الأحداث من عام ٢٨٤م حتى عام ٨١٣م/ ١٩٨هـ وسار في تدوينه على النظام الحولي، وكتب مدونته باللغة اليونانية الدارجة بين عامي ٨١٠-٨١٤م، ويحتل ثيوفانس أهمية بالغة في الكتابة التاريخية البيزنطية لعدة أسباب: منها عاش ثيوفانس في فترة غامضة من تاريخ الدولة البيزنطية (القرنين ٨- ٩ م) لم تصل إلى أيدينا مدونات تاريخية تعكس حقيقة تاريخها وعلاقاتها بالأمم المجاورة، باستثناء كتابات رجال الدين الذي غلب عليها الطابع الديني والخطابي، كما اعتمد كثير من المؤرخين البيزنطيين والغربيين ممن جاءوا بعده على كتاباته، نظرا لأنها اعتمدت على كثير من الكتابات التاريخية المفقودة، والتي تعود للقرنين السابع والثامن الميلاديين. وتعتبر رواية ثيوفانيس على درجة بالغة من الأهمية في دراسة العلاقات البيزنطية العربية في الفترة السابقة لظهور الإسلام حتى عام ١٩٨هـ، ففي عهد ثيوفانيس كان المسلمون جارًا قويًا وغنيًا للإمبراطورية البيزنطية، ومن ثم جاءت كتاباته عن الإسلام أقرب ما تكون إلى لغة الاعتراف بالأمر الواقع والتعايش معه. طارق منصور: "فتوح الشام وفلسطين في ضوء حولية ثيوفانيس المعترف: دراسة في إيديولوجية المؤلف تجاه الإسلام"، *المؤرخ العربي*، مارس ٢٠٠٦.

١٥) Theophanes, *The Chronicle of Theophanes* Confessor: Byzantine and Near Eastern history, A.D. 284-813, Transl. C.Mango and R. Scott (Oxford, 1997). P.353.

وبهدف تأكيد على تفوق الإمبراطورية الرومانية في المجالين المادي والفكري، حرص "جستنيان" على إبراز مظاهر الترف والأبهة والمهابة؛ وذلك بجعل الضيوف والزوار من الشعوب المتبربرة يشعرون بالانبهار عند دخول غرف القصر الإمبراطوري المطلية بالذهب، ومشاهدة الأزياء الرسمية الغالية الخاصة بالعاملين وجنود القصر وكذلك المجوهرات النفسية والسجاد الفخم، وقواعد التشريفات التي لابد من مراعاتها في ضيافة الإمبراطور(١٦).

وفي الوقت الذي نعموا فيه بكل ترحاب ووسائل الراحة في العاصمة، التي سادت فيها حالة من البهجة والسرور مع مرور تلك الأفواج التي كانت تمتطي الخيول، وتسير معها قوات الفرسان حاملة الأعلام، وسط ضجيج موسيقى الأبواق؛ وكانت تُعَد تلك الزيارات والجولات لأولئك الزوار داخل العاصمة لمشاهدة الكنائس الرائعة والقصور المزودة بوسائل الترف والأبهة، والأسواق المملؤة بالسلع والمنتجات، والحصون والقلاع القوية، ومستودعات السلاح المنظمة لإثبات قوة ومناعة الإمبراطورية، وبيد أن هؤلاء الزوار أنفسهم خضعوا للرقابة الدقيقة، خشية أن يدفعهم فضولهم إلى القيام بأي تصرفات طائشة تنال من استقرار الحكم البيزنطي.

ثانيًا: الهدف من الرحلة

كتب ثيوفانيس "وكان الغرض من رحلته مفاوضة القيصر في منَّ يخلفه من أولاده في عمالته على سوريا، ونشاط عمرو ملك الحيرة في منطقته"(١٧). وهذه ملاحظة ثمينة عن الملك الغساني على الرغم من أنها موجزة، إنه الدقة والمعلوماتية، إذ تم أخذها من مصدر أرشيفي أو من مصدر مشتق من مصادر مثل سجلات رئيس المكتب في القسطنطينية. ووصف الحارث بأنه "بطريق" و "فيلارخوس" من "السراقنة". على الرغم من ذكر بطريق قبل ٥٦٣م، إلا أن هذه هي الشهادة الوحيدة على ذلك عندما وصل إلى القسطنطينية. أي أنه زار العاصمة بعد ما حصل على أعلى وسام بيزنطي. وبعد انتصار الحارث على العدو اللدود للامبراطورية البيزنطة _ اللخميين _ في عام ٥٥٤ م، مما جعله زائرًا مرحبًا به. ويجب أن يكون قد وضع الإمبراطور في مزاج ملائم ليناقش مع الحارث طلباته وشكاواه؛ وكان الهدف من الزيارة محدد بإيجاز لدى ثيوفانيس ودار حول قضيتين، أولها مسألة وراثة الحكم. لرغبة الحارث في تسوية مسألة خليفته قد نشأت بعد أن تقدم به العمر، بعد أن خدم لأكثر من ثلاثين عامًا في مرتبة "فلارخوس"، الأهم من ذلك هو إدراك أن جستنيان كان يتقدم في السن أيضًا، ومن هنا جاءت رغبته في حسم هذه المسألة عندما كان الإمبراطور لا يزال على قيد الحياة.

ولا بد أن الحارث كان على علم بإمكانية الخلاف بين أبنائه إذا مات دون حل مشكلة وراثته في الحكم. ومن الجدير بالذكر بيان أنه أراد تسمية خليفة له بعد وفاته؛ لأنه محارب قديم ووجد أنه من الضروري القيام بالرحلة إلى العاصمة نفسها _ وليس فقط إلى عاصمة الشرق، أنطاكية _ حتى يتمكن من مقابلة القائد العسكري. من الواضح أنه اعتبر الأمر مهمًا للغاية، وأن رحلة إلى القسطنطينية كانت ضرورية. المهمة الدقيقة التي كان يقوم بها تحتاج إلى تفهم الإمبراطور نفسه ولا أحد غيره، والذي أنعم عليه برتبة "فيلارخوس"، وكان لا يزال يعتز بذكرى زوجته، ثيودورا، راعية الحارث والحركة المونوفيزيتية.

كان من الضروري أيضًا مناقشة مسألة الخلافة بدقة، ولا أحد غير الامبراطور "جستنيان" يستطيع حسم الأمر، لأن الخلافة أو بالأحرى التعيين، سيجعل تحت قيادته ليس فقط رعاياه الغساسنة، وقواته، ولكن أيضا جماعات أخرى غير الغساسنة، والتي كان يجد في بعض المناسبات صعوبة في السيطرة عليها. ومن هنا جاءت

---

١٦) محمد فتحي الشاعر، *السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي عصر جوستنيان* ، ص ١٦٣– ١٦٤.

١٧) Theophanes, the Chronicle of Theophanes Confessor, P.353.

شكران خربوطلي، ويونس محمد. "العلاقات السياسية البيزنطية الغسانية في القرن السادس الميلادي"، *مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات* العلمية – سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية مج٣٩، ع٢ (٢٠١٧)، ص ٣٣٩.

رغبته في مناقشة وراثة الحكم مع الإمبراطور نفسه في القسطنطينية. من الواضح أن تحديد أيٍّ من أبنائه يجب أن يخلفه توضح أن "الحارث" كان لديه أكثر من ابنًا. وكان قد قتل أحدهم(١٨). وعلى الرغم من ذلك كان لديه أكثر من ولد يمكن لهم خليفته في الحكم، كما هو واضح في استخدام صيغة الجمع من قبل "ثيوفانيس"، أحدهم فقط معروف بالاسم، لا أحد غير المنذر، الذي في الواقع خلفه عام ٥٦٩م.

كان المنذر من أنصار الطبيعة الأحادية، وهذا يلقي مزيدًا من الضوء على سبب ضرورة وجود الحارث، وأن يأتي إلى العاصمة لتسوية مسألة الخلافة، هذه المرة من وجهة نظر الحارث نفسه. فعلى الرغم من المونوفيزايتة القوية بين الغساسنة، إلا أنه كان بينهم بعض الأمراء من أنصار الطبيعتين كما يتضح من المصادر السريانية. أراد الحارث أن يكون خليفته من ذوي الطبيعة الأحادية، بالإضافة إلى كونه جنديًا كفؤًا؛ ومن هنا جاءت ضرورة الرحلة إلى القسطنطينية(١٩).

وكان من الجوهري بالنسبة للغساسنة تأمين وراثة العرش داخل أسرتهم، وتدعيم سلطانه، ووصل الحارث "بطريق" العرب و"فيلارخوس" لحسم هذه المسألة، وكان أحد أبنائه قد هلك عندما قدمه المنذر اللخمي قربانا للإلهة العزى، ومن الواضح أن الذي حظي بالتعيين هو المنذر بن الحارث الذي شغل مكان أبيه قبل ربيع عام ٥٧٠م(٢٠) فقد ذكر الأصفهاني "ملك بعد (الحارث) إبنه المنذر الأكبر بن الحارث بن مارية وبنى حربا ورزقا قريبا من الغدير، وكان ملكه ثلاث سنين"(٢١).

كما كان من المنطقي أن تشتمل الزيارة على تحديد العلاقات العسكرية؛ ففي معاهدة السلم المعقودة بين البيزنطيين والساسانيين عام ٥٦١ م: أُشترط أن يكون السلم فيها لمدة خمسين سنة، وأيضًا أن يلتزم عرب الطرفين بنفس الشروط. ومن الجدير بالذكر أن الحرب القائمة بين "الغساسنة" و"عرب الشام" كانت تقوم بسبب عدم وجود حدود فاصلة واضحة المعالم بين أراضي الطرفين، الأمر الذي أدى إلى إدعاء كلا الطرفين ببعض الأراضي المتاخمة بينهما. كما أن عدم استقرار القبائل في مناطق شبه ثابتة على أطراف العراق والشام المجاورة ربما انتقلت من مناطق تحت نفوذ المناذرة إلى مناطق تابعة لنفوذ عرب الشام والعكس؛ فنتج عن ذلك نزاع حول تبعية حكم هذه القبائل، كما أنه لم يكن هناك سياسة ثابتة للقبائل المنتشرة في مناطق الحدود، إذ أن بعض تلك القبائل سرعان ما تغير ولاؤها وتنضم إلى الجانب الآخر، وهكذا تسببوا في مشاكل لكلتا الإمارتين(٢٢).

ولكن تبدو مناقشة الحارث المداهمات من عمرو على أراضيه شكوى حذرة، مما يثير العديد من الأسئلة. فالشكوى عجيبة تأتي كما هي من المنتصر معركة خالكيذا، الذي هزم اللخميين في عام ٥٥٤ م، مما أسفر عن مقتل ملكهم "منذير". منذ ذلك الحين انقلب المد على اللخميين في صالح الغساسنة. ولكن عند وضعها على

---

١٨) "وبعد ذلك بوقت قصير شن الحارث والمنذر حاكما الساراقينيين حربا أحدهما على الآخر من تلقاء نفسيهما ولم يساعدهما البيزنطيون أو الساسانيون. وأسر المنذر أحد أبناء الحارث في غارة مفاجئة في حين كان يرعى خيوله، وعلى الفور قدمه أضحية لأفروديتي ومن المعروف أن الحارث لم يخن البيزنطيين لحساب الساسانيين منذ ذلك الحين. وفي وقت لاحق التقى كل منهما في موقعه بجيشهما كاملين وأحرزت قوات الحارث انتصارا ساحقا، وأجبرت العدو على الفرار، وقتلت عددا كبيرا منهم. وكاد الحارث أن ياسر اثنين من أبناء المنذر أحياء إلا أنه لم ينجح في واقع الأمر.

Procopius, *History of the wars*, H.B. (Henry Bronson) Dewing. William Heinemann; the Macmillan Co. ;(Harvard University press. London; 1914- 1928) , P.519 (II.XXVIII.12- 18)

١٩) Irfan Shahid, *Byzantium and the Arabs in the sixth century, VolumeI Part: Political and Military History*, Washington, D.C., 1995.,P. 282

٢٠) نينا فكتورفنا بيغوليفسكيا: *العرب على حدود بيزنطة وإيران*، ص ٢٣٨.

٢١) *تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام*، ص ٩١.

٢٢) خالد صالح العسلي، "العلاقات السياسية بين المناذرة والغساسنة" *العرب* مج ٦، العدد ٩، (١٩٧٢)، ص ص ٧٠٠-٧٠١.

خلفية من معاهدة عام ٥٦١م، صارت الشكوى واضحة على الفور. البند الثاني نص على أن الحلفاء العرب من بيزنطة وبلاد فارس عليهم عدم الانخراط في عمل عسكري سواء ضد القوتين أو بينهما. هكذا فإن ضبط النفس لدى الحارث في عدم الانتقام هو دليل ممتاز للتفسير الصحيح لتلك الفقرة. الذي اختار للشكوى من اقتحام عمرو بدلاً من اتخاذ إجراء مستقل أيضاً يعكس بشكل إيجابي نمو ولائه والشعور بالمسؤولية تجاه الامبراطورية البيزنطية.

لكن تصرفات عمرو اللخمي العدائية المفاجأة، التي جاءت بعد وقت قصير من إبرام معاهدة عام ٥٦١م، وشرطها الثاني الذي سبق الإشارة إليه؛ يمكن أن تتعلق بمسألة الإعانات التي أثارها عمرو في المفاوضات التي سبقت المعاهدة وتلتها، وعرض قضيته من قبل كسرى نفسه ولكن دون جدوى. ومن هنا قد أظهر استياءه ورغبته في الانتقام لنفسه في المنطقة الخاضعة لنفوذ الغساسنة. وليس من السهل التعرف على العمل العسكري الذي قام به عمرو، ولكن يمكن القول أنه حرص على عدم مهاجمة أراضي البيزنطيين؛ خشية أن يشكل ذلك انتهاكًا خطيرًا لمعاهدة السلام عام ٥٦١ م، الشيء الذي لم يكن الفرس التسامح معه، لذلك اختار الهجوم على أراضي الغساسنة، أو على ما يبدو في مكان ما خارج في إقليم الغساسنة، وفي شبه الجزيرة العربية.

وقد صمت ثيوفانيس على رد فعل جستنيان على انتهاك معاهدة عام ٥٦١ م، ولكن ليس من الصعب الاستدلال من إرسال الامبراطور إعانة إلى "عمرو اللخمي" من أجل إسكاته، وعدم التورط في المزيد من الانتهاكات التي قد تشعل الحرب بين القوتين الكبيرتين البيزنطيين والفرس. لكن انتهاك عمرو لأراضي (الحارث) يثير التساؤل حول ما إذا كان لدى الغساسنة أراضٍ خاصة بهم، يجب أن يكون الجواب في الإيجاب؛ وهذا هو المضمون الواضح للعبارة الواردة لدى ثيوفانيس[٢٣]؛ حيث أن المكان الذي حدثت فيه هذه الواقعة ليس من الواضح خضوعها بالكامل لسيطرة الغساسنة، وتم وصفها أنها "على حدود شبه الجزيرة العربية" دون تحديد دقيق حول ما إذا كانت في الأراضي العربية أي جزء من شبه جزيرة العرب، أو منطقة أخرى تشمل تابعة لمنطقة الحجاز حيث كان عنصر الأزد قوياً (ينتمي الغساسنة إلى مجموعة أزد القبلية)؛ أو ربما كان في ديمات الجندل أو في مكان ما قرب الحدود الفارسية البيزنطية، وهذ الأمر تؤكده حقيقة أنه عندما ترك منذر خدمة بيزنطة في سبعينيات القرن الخامس، وتقاعد بضع سنوات في شبه جزيرة العرب، مثلما فعل على الأرجح جبلة في عهد جوستين الأول[٢٤].

ويتبادر هنا سؤال آخر: هل كان للرحلة إنجازات أخرى صمت عنها ثيوفانيس؟ والإجابة القاطعة نعم، ويمكن استنتاج ذلك من الاطلاع على المصادر الأخرى، استكمالا لأهداف الرحلة جاء في مصدر "جون الافسسي": "عندما سمع عن هذا الحارث بن جبلة – ملك السراقنة – جاء بنفسه للمدينة الملكية، وبسبب تقلص مجادلة المؤمنين في ظل المثابرة، توسل الحارث بن جبله وبعض ممن معه من الأباء للإمبراطورة محبة الرب ثيودورا لمنحهم تصريح لجعل اثنان أو ثلاثة أساقفة في سوريا (فلم يكن يوجد أساقفة في سوريا كلها سوى ثلاثة، واحد في الجبل، وآخر في الأراضي الفارسية، والثالث في مدينة الإسكندرية). وبما أن الملكة المؤمنة كانت

23) "In this year, in October of the 12th indiction, the emperor Justinian, in fulfilment of a vow, visited Myriangeloi, otherwise known as Germia,1 a city in Galatia. In November, Arethas2 the patrician and phylarch of the Saracens, came to Byzantium, since he was obliged to report to the emperor which of his sons, after his death, would obtain his phylarchy, and to discuss the activities of Ambros, son of Alamoundaros in his territory"

24) Irfan Shahid, Byzantium and the Arabs in the sixth century, Volume I, Part 1. P.285-286.

ترغب في تعزيز مثل هذه الإجراءات التي من شأنها أن تساعد ضد سينودس شليدو، فقد أمرتهم بتعيين أساقفة هناك"[٢٥].

وكان الغساسنة وملوكهم مثل "الحارث بن جبلة" وابنه "المنذر" من المتعصبين والمدافعين عن المذهب اليعقوبي الذي شاع في بلاد الشام، وكانوا دائمي الاهتمام بالشأن الديني[٢٦]، بل واستعان أبو كرب[٢٧] بالأسقف الغساني "ثيودور" في إدارة كثير من أمور المنطقة التابعة له، فقد كان "ثيودور" أسقفا معروفا في ولاية فلسطين الثالثة والثانية وفي ولاية سورية الأولى. ويستدل على ذلك من خلال النقش السرياني الذي عثر عليه في منطقة النبك؛ والذي يعود إلى منتصف القرن السادس الميلادي، حيث جاء في النص (في أيام الأسقفين المحترمين القديسين "يعقوب" و "ثيودور" عندما كان أبو كرب ملكا) ويظهر من النقش أيضا دعاء إلى الله تعالي من الأسقفين من أجل رحمة أبي كرب وسائر المؤمنين. ويتضح من النص التزام ملوك الغساسنة بتعاليم المسيحية، وقد امتد النشاط التبشيري للأسقف "ثيودور" حتى شمال بلاد الحجاز، التي كانت تشكل جزءا من ولاية فلسطين الثالثة، نتيجة لأن الحارث تمكن من تحقيق مطلبه لدى الإمبراطورة ثيودورا زوجة جستنيان بتعيين الأسقفين _ يعقوب وثيودور _ أساقفة في ولايتي سورية والعربية[٢٨].

فقد استمر الغساسنة على عبادتهم الوثنية حتى اعتنقوا المسيحية ما بين القرن الرابع وبداية القرن السادس الميلاديين، ويؤكد المؤرخون على أن الغساسنة اعتنقوا المسيحية وفقا للمذهب المونوفيزي، وهو المذهب القائل

---

٢٥) John of Ephesus, *Lives of the Eastern Saints, by John of Ephesus*. Syrian text, English translation and notes by E. W. Brooks, Vol. III, (Paris, 1926). p. 238.

٢٦) "الخلاف بين يعقوب وبولس.. هدأ اضطهاد المؤمنين بسبب الحروب بين الممالك، غير أن الشيطان خلق شكا آخر، بسبب الانقسام الذي حدث بين جماعة يعقوب وجماعة بولس الأسود، حيث تبع كلا منهما مجموعة من الأديرة والأساقفة. وكان الفريقان يتبادلان الشتائم ويشقيان الشعب، ويبتعدان عن بعضهما خلافا للروية ومخافة الله، وقد امتلأ بروح الخصام. فإلى مثل هذه البلبلة والبغضاء أوصلهم ذاك الذي يغربل الناس كالحنطة، والذي لم يجرؤ، بكل وحشيته وهمجيته على أن يفعل هذا مع الوثنيين واليهود والهراطقة. لا سيما وأن هؤلاء لا يختلفون بشيء في إيمانهم. وفيما كانت هذه التصرفات البهيمية تأخذ مجراها، كتب بولس إلى يعقوب يقول: لم كل هذا الاضطراب في الكنيسة؟ هلم لنجتمع ونناقش على ضوء القانون، فإذا تبين بأني مذنب فلينزل بي قصاص ثلاثة أضعاف ما استحق، وإذا ظهر أنك أنت المذنب، فأنا أقبل العقاب عنك بملء إرادتي. غير أن حاشية يعقوب لم تدعه يجتمع به أو يتصالح معه، بذلك كتابة. وقد طلب إليهما منذر بن حارث، الرجل المؤمن، أن يتصالحا. بيد أن جماعة يعقوب رفضوا، كما أن بولس لم يكن راغبا في إيضاح الحقائق. وإذا لم يصغ إلى طلب منذر انقسم العرب ، فتبع بعضهم يعقوب، والبعض الآخر بولس..." ميخائيل السرياني، *تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير بطريرك أنطاكية*، عربه عن السريانية/ مارغريغوريوس صليبا شمعون رئيس أساقفة الموصل وتوابعها، أعده وقدم له/ مارغريغوريوس يوحنا إبراهيم، (دار ماردين، ١٩٩٦)، ج ٢، ص ٢١١؛ "اتجه لونجينا وتيودور إلى بلدان الشرق بسبب الاضطرابات التي عمت كل الجهات . فمكث تيودور لدى جماعة بولس في صور، ليشير إلى إدانته جماعة يعقوب. أما لونجينا فوصل أخيرا الي منذر من آل حارث بن جبلة، وأطلعه على الحقيقة، فتحرك منذر لمصالحتهم، فلم يوافق جماعة يعقوب. ميخائيل السرياني، *تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير بطريرك أنطاكية*، ج٢، ص٢١٢.

٢٧) وقد تلقى الإمبراطور جستنيان بساتين النخيل هذه هدية من أبو كرب حاكم السارقينيين المقيمين في فلسطين، وكان يتولى باستمرار حراسة الأراضي من النهب لأن ابا كرب كان يبدو للبرابرة الذين كان يحكمهم ، وليس أقل من ذلك الأعداء، رجلا يجب خشيته وعلى قدر كبير من النشاط." Procopius, *History of the wars*, P. 181(I. xix 7– 16)

وحول التحالف بين أبي كرب والإمبراطور جستنيان انظر: حاتم عبد الرحمن حاتم الطحاوي، "البحر الأحمر في المصادر البيزنطية: القرن السادس الميلادي". *مجلة كلية الآداب جامعة الزقازيق*، ع ٥٥، (٢٠١٠)، ص ٧٩.

٢٨) شكران خربوطلي، ويونس محمد، "العلاقات السياسية البيزنطية الغسانية في القرن السادس الميلادي"، ص ٣٣٧.

بالطبيعة الواحدة للمسيح، وقد أطلق عليه أيضا اسم المذهب اليعقوبي نسبة ليعقوب البرادعي[٢٩] مؤسس الكنيسة السورية القائلة بالطبيعة الواحدة للمسيح، وكان المذهب اليعقوبي أحد الثلاثة مذاهب الرئيسة في بداية القرن السادس وهم الملكية والنسطورية واليعقوبية، ويمكن القول أن المذهب اليعقوبي كان المذهب الرسمي لمملكة الغساسنة؛ ويظهر هذا من خلال اهتمام ملوك الغساسنة به، وسعيهم الحثيث في الدفاع عنه، ودعمهم لأنصاره وكنيسته ورجال الدين القائمين عليه. وقد تناول المؤرخين الإشارة الى هذه الرحلة في إطار جهود "الحارث ابن جبله" لتدعيم ملك الغساسنة، وضمان العرش الغساني لابنه "المنذر"، وضمان الدعم والمساندة لسياسته من قبل قيصر روما، وطلب المساعدة من البيزنطيين للمشاركة في حركة العمران والنهضة المدنية التي انتهجها الغساسنة وكان منها بناء القصور[٣٠].

وقد لعب العامل الديني دورا مهمًا في العلاقة بين الغساسنة والروم البيزنطيين؛ وكان اعتناقهم للمسيحية سيفا ذي حدين، حال دون وجود عداء ديني سافر بين الغساسنة والسلطة الرسمية في القسطنطينية، كما سمح لهم بالارتباط بالنظام الروماني باعتبارهم رعايا مسيحيين تابعين للإمبراطورية الرومانية بغض النظر عن الخلاف المذهبي، ولم تستطع الحكومة الرومانية أن تنكر عليهم صفة أنهم جزء من رعاياها المسيحيين رغم ذلك الخلاف المذهبي بين الغساسنة الذين كانوا على المذهب اليعقوبي، والحكومة الرسمية والقيصر الذين كانا على المذهب الملكاني. ويعتقد البعض أن اعتناق الغساسنة للمذهب اليعقوبي، وخروجهم على الكنيسة الرسمية للإمبراطورية الرومانية هي محاولة للتمايز، أي محاولة غسانية للتعبيرعن الاستقلال السياسي. ولا بد من الوضع في الاعتبار أن هذا الخلاف المذهبي بين الغساسنة والروم كان سببا في ريبة الروم من الحارث وخلفاؤه[٣١].

ومن الجدير بالذكر أن الإمبراطور "جستنيان" أتبع سياسة جديدة؛ مفادها استغلال الجانب الديني لاغراض سياسية[٣٢]، وعلى أية حال ورغم أن المذهب الديني المتبع في المملكة الغسانية معارض للمذهب الديني في بيزنطة؛ إلا أن الإمبراطورة "ثيودورا" قامت بتعيين المطران "يعقوب البرادعي"ورفيقه "ثيودورس" أسقفين لمسيحي الشرق بناء على طلب الملك الغساني كما اتضح من جون الأفسوسي. كما ظهر هذا الحدث في نقش سرياني تم العثور عليه في منطقة النبك[٣٣].

ولابد من إدراك أن في زيارة المنذر وأولاده للعاصمة البيزنطية أيضا عام ٥٨٠ م، استقبله الإمبراطور الجديد تيبريوس الثاني بحفاوة عظيمة، وأنعم عليه بالتاج. والنقطة المهمة في هذا السياق أن المنذر انتهز فرصة

---

٢٩) "وَأما "اليعقوبية" فأصحاب يَعْقُوب البردعاني رَاهِب بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ قَالُوا انقلبت الْكَلِمَة لَحْمًا ودما فَصَارَ الْإِلَه هُوَ الْمَسِيح، قَالَ ابْن حزم: واليعقوبية يَقُولُونَ إِن الْمَسِيح هُوَ اللَّهِ قتل وصلب وَمَات، وَإِن الْعَالم بَقِي ثَلَاثَة أَيَّام بِلَا مُدبر، قَالَ اللَّهِ تَعَالَى (لقد كفر الَّذين قَالُوا إِن اللَّهِ هُوَ الْمَسِيح ابْن مَرْيَم)" عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي (ت ٧٤٩هـ)، *تاريخ ابن الوردي*، (لبنان / بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، ج١، ص ٧٧.

٣٠) جهاد يوسف عبدو، وخضر آدم عيسى، السياسة الخارجية للغساسنة ، ص ٧٠- ٧٦ .

٣١) جهاد يوسف عبدو، وخضر آدم عيسى، السياسة الخارجية للغساسنة ، ص ٨٤ .

٣٢) للمزيد: أحمد حسين حسن أحمد و نادية محمود فرحان، "تجارة الحرير والصراع الفارسي البيزنطي في عهد جستنيان ٥٦٥- ٥٢٧ م، (*مجلة جامعة الانبار للعلوم الإنسانية*، ع ٤، ٢٠١٣)، ص ٣٧.

٣٣) إبراهيم عوده عواد الخالدي، وموسى أحمد مخاط بني خالد، مظاهر الحضارة والعمران في المملكة الغسانية في جنوب بلاد الشام في *الفترة ما بين القرنين الرابع إلى مطلع القرن السابع الميلاديين*، رسالة ماجستير، جامعة ال البيت، المفرق، (٢٠٢٠)، ص ٣٢ .

وجوده في العاصمة لتحقيق بعض الأهداف الدينية أيضًا، فقد حاول جاهدًا إقناع رجال القصر بالتسامح مع أتباع مذهب الطبيعة الواحدة والصفح عنهم(٣٤).

ثالثًا: منَّ رافق "الحارث ابن جبلة" في الرحلة؟

وانطلاقا من أهداف الرحلة، بالأضافة لما صرح به "جون الأفسسي"؛ فقد تواجد رجال الدين في وفد الحارث(٣٥)، واستنتاجًا من الرحلات المماثلة إلى عاصمة الامبراطورية البيزنطية يمكن القول أنه اصطحب معه جماعة آخرون من أهله ومعاونيه وخدمه ورفاقه، فقد كان قادمًا على الإمبراطور، ومما يسهل مهمته أن يبدو في مظهر يليق بالمقام، ويضفي على موكبه مسحة من الهيبة والجلال(٣٦).

ولكن يتبادر إلى الذهن هنا، هل أحضر الحارث المنذر معه إلى القسطنطينية؟ ومن المحتمل أنه فعل ذلك. لإظهار الامبراطور "جستنيان" أن له ابنًا محبوبًا بنفس القدر الذي يشغله والده؛ وأن حضوره الجسدي كان سيثير إعجاب الإمبراطور(٣٧).

ومن خلال الإنجازات التي حققها الحارث أثناء تواجده في العاصمة القسطنطينية، نجده كان متحمسا للمنوفيزيتية، وتم إحياء هذا الاعتراف حولي عام ٥٤٠ م، وعندما حصل على تعيين كلٍ من "يعقوب" و "ثيودور" أساقفة في الشرق، ويمكن افتراض أنه شارك في تلك الأنشطة المتعلقة بهذا الأمر. وبالفعل تشهد رسالة باللغة السريانية على جهوده نحو انتخاب "بولس" في بطريركية أنطاكية المونوفيزيتية، التي كانت شاغرة. وهناك إشارة في تلك الرسالة لبطريرك الإسكندرية المونوفيزيوس، ثيودوسيوس، الذي كان موجودا في ذلك الوقت في القسطنطينية. وبالتالي فمن المؤكد أن الحارث استغل زيارته للعاصمة لإقامة اتصال مع حزب المونوفيزيتيين في القسطنطينية، الذي كان يرأسة ثيودوسيوس. ومن المؤكد تاريخيًا أنه أقام اتصالًا مع أفراد العائلة الإمبراطورية، مثل الإمبراطور المستقبلي "جاستن الثاني" وزوجته "صوفيا" التي اشتهرت بتعاطفها مع المونوفيزيتيين(٣٨).

رابعًا: آثار الرحلة على البيزنطيين والغساسنة

ويبدو أن زيارة "الحارث ابن جبله" كان لها صدىً وتأثيرًا قويًا على سكان عاصمة الامبراطورية البيزنطية، وبالأخص على "يوستينوس" ابن أخي القيصر الذي كان حينذآك وليا للعهد، ثم ورث العرش بعد وفاة الامبراطور؛ فلما أصيب "يوستنيوس" بفقد عقله بعد تسلمه العرش ببضع سنين، كان أهل البلاط يخيفونه "بالحارث" كلما بدا منه أعراض شديدة(٣٩)، وجاء ذكر هذا الأمر في كتب يوحنا الافسوسي " ... فقد يوستينوس" عقله فجأة، واضطربت نفسه وأظلمت، وخضع جسده للعذاب الخفي والظاهر وللآلام المبرحة، حتى صار يقلد صوت الحيوانات فكان ينبح ويرقد كالكلب... وعندما كان يصيح ويتلفظ بكلام معتوه، كانوا يصيحون فيه قائلين:

---

٣٤) كلوديا خالد عبيد جديع، وموسى أحمد مخاط بني خالد، *بلاد الشام في العصر البيزنطي (القرن الرابع إلى منتصف القرن السابع ميلادي)*، رسالة ماجستير، جامعة ال البيت، المفرق، (٢٠١٨)، ص ٩٠ .

٣٥) John of Ephesus, *Lives of the Eastern Saints, p. 238.*

٣٦) عبدالسلام محمد الكيلاني، "رحلة امرئ القيس إلي بيزنطة"، *مجلة روافد المعرفة*، ع ٧ (٢٠٢٠)، ص ٢١.

٣٧) Irfan Shahid, *Byzantium and the Arabs in the sixth century, Volume I Part 1,* P.284.

٣٨) Irfan Shahid, *Byzantium and the Arabs in the sixth century, Volume I Part 1,* P.287.

٣٩) ثيودور نولدكه، *أمراء غسان من آل جفنة*، ترجمة/ بندلي جوزي وقسطنطين زريق (بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٣٣)، ص٢٠-٢١.

"أهدأ، ها هو "الحارث بن جبلة" قادمًا إليك ... فكان يلوذ بالفرار، ويدخل تحت سريره، ويتشبث بجانبه"، أما هم فكانوا يقولون له ذلك ليخيفونه"(٤٠).

ويبدو أن أثر الرحلة في رسم صورة "الحارث" التاريخية كأمير للغساسنة أكثر وقعا من الكلمات التي كتبها "بروكوبيوس" عندما قارنه "بالمنذر ابن امرؤ القيس" ٥١٤– ٥٥٤ م: " أن المنذر كان أكثر حصافة كسياسي، وكان يملك خبرة جيدة في أمور الحرب كقائد عسكري، ومخلصا تماما للفرس، وأكثر حيوية وقوة على نحو غير عادين، فقد أجبر الدولة الرومانية على الركوع لمدة خمسين عاما"(٤١)، واختصارًا فإن هذا الرجل أثبت أنه أكثر أعداء البيزنطيين شراسة وخطورة. ويرجع السبب في ذلك إلى أن المنذر الذي كان يشغل منصب الملك كان يحكم وحده جميع السارقينيين في بلاد فارس، وكان باستطاعته دائما أن يشن حملات بكل أفراد جيشه حيثما شاء في الأراضي البيزنطية. ولم يكن أي قائد للفرق البيزنطية من حملة لقب "دوكيس" _ قادة الكتائب _ ولا أي قائد آخر من السارقينيين المتحالفين مع البيزنطيين الذين يعرفون "بالفيلارخوس _ شيخ القبائل _ قويا بما يكفي بما معه من رجال لكي يواجه المنذر، لأن الجنود المتمركزين في المناطق المختلفة لم يكونوا أندادا لمقابلة الأعداء في موقعة قتالية.

ولهذا السبب وضع الأمبراطور "جستنيان" الحارث بن جبلة على رأس أكبر عدد من العشائر– وكان الرجل يحكم المقيمين في بلاد العرب – ومنحه لقب باسيليوس وهو شيء لم يحدث سابقا في تاريخ الرومان، وعلى الرغم من ذلك فإن المنذر استمر في إلحاق الأذى بالبيزنطيين مثلما كان يفعل سابقا، إن لم يكن أكثر؛ لأن الحارث كان غير موفق أبدا في أي حملة يشنها، أو لأنه كان يخون في أقرب فرصة تتاح له. فالواقع أننا لا نعرف شيئا مؤكدا عنه. وبهذه الكيفية فقد حدث أن سلب المنذر ونهب الأراضي الشرقية لمدة طويلة جدا، دون أن يقف أمامه أحد، لأنه عمَّر طويلا(٤٢).

من الممكن الاستدلال من الإشارات التاريخية التي وردت في المصادر إلى أن "المنذر ابن الحارث" لاحقًا في ستينيات القرن الخامس، أصبح بالفعل وليًا للعهد بعد وفاة "الحارث ابن جبله" منذ عام ٥٦٣ م؛ وبذلك اتبع الغساسنة النمط البيزنطي للحكم المشترك، تمامًا مثلما أصبح ابن أخيه (يوستنيوس) حاكمًا مشاركًا مع جستنيان (٦٤ عاما). من المحتمل أن يكون المنذر شريكًا في الحكم مع والده، ربما بعد اقتراح جستنيان هذا بنفسه، وإذا كان الأمر كذلك، فهذا كان مرحلة جديدة في تطور نظام الحكم عند الغساسنة؛ فقد ميز الجانب الجماعي نظام الحكم في الإمبراطورية البيزنطية، بينما كانت الخلافة عند الغساسنة سلالة، ثم تغير بعد الرحلة، على ما يبدو، ليصبح أيضًا جماعي بعد انتخاب حاكم مشارك خلال السنوات الأخيرة من حكم الملك(٤٣).

وهكذا تضيف زيارة الحارث إلى القسطنطينية بعدًا جديدًا لشخصيته: فهي تكشف عنه كرجل دولة ذكي وماكر، وقائد عسكري قادر على المراوغة السياسية والعسكرية على حدٍ سواء، وغدت عاصمة الامبراطورية مهيئة المزاج لاستقباله ومتقبلة له بعد فوزه الساحق في معركة عام ٥٥٤ م، بينما عزز ترحيبه بالصبر عن الانتقام من "عمرو اللخمي" خشية أن ينتهك معاهدة السلام لعام ٥٦١ م، والتي كان الامبراطور "جستنيان" متمسكًا ببنودها فيما يخص الهدنة مع الفرس، ومحافظًا عليها بدقة وحرص، خاصةً مع تقدمه في السن(٤٤).

---

٤٠) يوحنا الأسيوي، *تاريخ الكنيسة*، الكتاب الثالث الأجزاء الثالث والخامس والسادس، ترجمها من السريانية وعلق عليه/ صلاح عبد العزيز محجوب إدريس، تقديم ومراجعة/ محمد خليفة حسن، المجلس الأعلى للثقافة (٢٠٠٠)، ص ٣٢.

٤١) Procopius, *History of the wars*, p.157 (I.XVII. 37_43).

٤٢) Procopius, *History of the wars*, p.159 (I.XVII. 43- 48).

٤٣) Irfan Shahid, *Byzantium and the Arabs in the sixth century, Volume I Part 1*, P.285

٤٤) Irfan Shahid, *Byzantium and the Arabs in the sixth century, Volume I Part 1*,.P. 288

ومن الجدير بالذكر أنه قد اختلفت معاملة الروم البيزنطيين مع الغساسنة في عهد يوستينوس المعروف "جستين الثاني"، إذ إنها تعاملت بحيطة وحذر ولا سيما عند مجيء ولد الحارث _ المنذر الغساني _ وبدأت العلاقات بين الروم وآل جفنة تتلبد بالغيوم نتيجة لأمرين: الأول بسبب الخلافات المذهبية بينهما، وتعصب المنذر الغساني للمذهب المونوفيزي، والسبب الثاني: بعد قطع الإعانات السنوية التي كان الروم البيزنطيون يقدمونها لهم. وبدأ الإمبراطور (جستين الثاني) ٥٦٥ – ٥٧٨ م يرتاب في ولاء المنذر السياسي(٤٥)، وقد أشار مصدر سرياني لهذا الشك(٤٦)، وهو ما يذكرنا بموقف بروكوبيوس من الحارث(٤٧). خاصة أن العلاقات بين البيزنطيين والغساسنة خاصة فترة حكم المنذر لم تكن بنفس المستوى الذي كانت عليه فترة حكم ابيه "الحارث بن جبلة"، وقد عاصر المنذر حكم اثنين من الأباطرة البيزنطيين هما جستين الثاني (٥٦٥– ٥٧٨م) وتبيريوس (٥٧٨– ٥٨٢م)، وكان البون شاسعاً بين جستين الثاني وسلفه جستنيان الأول في بعد النظرة وحسن السياسة(٤٨).

ويمكن من خلال رصد النتائج التي ترتبت على رحلة "الحارث ابن جبله" إلى القسطنطينية كرحلة ناجحة من خلال الأدوار العسكرية والسياسية التي قام بها الغساسنة خلال هذه الحقبة الزمنية؛ فإلى جانب وجودهم العسكري للدفاع عن حدود الإمبراطورية البيزنطية وخوض الحروب بالنيابة عنها في الشرق، فقد قاموا كغيرهم من عرب الشام بمهام غير عسكرية أيضًا، مثلما كانت تفعل الجيوش الرومانية وقت السلم، وقد ورد ذكر بعض الواجبات العسكرية لهذه الفيالق مثل بناء الطرق وشق الموانئ وغيرها من الأمور كبناء الجسور، كما قاموا بدور الحكام في النزاعات التي نشبت، علاوة على ذلك، كمسيحيين متحمسين شاركوا في بناء العديد من الأديرة والكنائس.

---

٤٥) أحمد حسين حسن، ونادية محمود فرحان " أوجه الصراع البيزنطي الساساني تجاه القوى العربية المناذرة والغساسنة في عهد جستين الثاني ٥٦٥– ٥٧٨م" *مجلة الأنبار للعلوم الإنسانية* ع ١ (٢٠١٤)، ص ٢٧.

٤٦)"سنة ٨٨٩ التقى جيشا مملكتا الروم والفرس عند مدينة دارا الخربة، وتبادلا التهم حول مسبب الحرب، وأمضوا سنة في مناقشة هذه القضية، ثم طلب الفرس ذهبا من الروم فوافق طيبريوس قيصر. وخلال مناقشة موضوع السلام، طالب القيصر بدارا في حين طالب الفرس بأرمينيا مقابل ذلك، فامتعض القيصر لأنه لم يشأ أن يسلم مؤمني أرمينيا. فانتهوا إلى النزاع مرة أخرى. وبعد أن عاد الفرس إلى فارس، والروم إلى روما، جمع المرزبان أدرقلون قائد جيش كسرى ملك الفرس جيشا فنهب ودمر كلا من الداريين والتليين والراسعينيين، وتلبسما وعاد بغنائم وفيرة. وطلب طيبريوس من قوميس موريقي قائد جيشه أن يتدبر الأمر. فخاف الفرس لدى علمهم بهذا الإجراء، وتظاهروا بأنهم متجهون صوب أرمينيا، وأخبروا سكان مدينة تيودوسيوبوليس ليستعدوا للمنازلة بعد ٣٠ يوما، فاستعد الروم بعد بلوغهم الرسالة. أما الفرس فاتجهوا سرا صوب ميافرقاط في بلاد الروم، ودمروا منطقة الصوفانيين وكنائس وأديرة منطقة آمد التي أحرقوها حتى أسعارها. وحلوا فيها لمدة ثلاثة أيام، ونهبوا منطقة الهلال الخصيب وعادوا إلى بلادهم. فلما علم موريقي، جمع جيشا ووجه أنظاره نحو منطقة أرزون الفارسية، فسبى المنطقة حتى نهر دجلة واصطحب مسيحي المنطقة إلى بلاد الروم بأمان . ثم دخل منذر وموريقي (مع الجيش) أرض الفرس، فوصلوا إلى جسر كبير وإذا به قد قطع فعاد أدراجهم. واعتقد موريقي بأن المنذر هو الذي أشار إلى الفرس ليقطعوا الجسر، لكن هذا لم يكن صحيحا. وإذا علم الفرس أن الروم والعرب الذين مع منذر وموريقي قد تغلغلوا في بلادهم، تغلغلوا بدورهم في منطقة الروم فدمروا التليين وأهل رأس العين، ثم اجتازوا إلى منطقة الرها واحرقوا ودمروا منطقة ازرادينا برمتها. ثم تجمعت القوات العربية مع الفرس لمحاربة منذر، غير أنه هجم عليهم بصورة مباغتة ودمرهم، وبالكاد استطاع عدد يسير منهم النجاة. ثم جمع موريقي جيوش الروم مرة ثانية، ومعه منذر وعربه، فدخلوا المناطق الفارسية وأحرقوا ونهبوا وسبوا أعداد كبيرة وأموالا وفيرة وعادوا. هذه كلها حدثت عام ٨٨٩ يونانية" ميخائيل السرياني، *تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير بطريرك أنطاكية*، ج ٢، ص ٢١٠–٢١١.

٤٧) Procopius, *History of the wars*, p.159 (I.XVII. 43- 48).

٤٨) طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي البيزنطيون والعالم الإسلامي، ص ٢٤.

ومن المؤكد أن الغساسنة دعوا لأداء مهام مماثلة في الشرق _ على عكس قوات القوط الشرقيين في ايطاليا أو الفرنجة في غالة أو القوط الغربيون في أسبانيا _ فلم يكن الغساسنة غرباء عن نظرائهم عرب الأنباط وتدمر، ومن ثم لا يوجد توتر مثل ذلك الذي حدث بين جيش الاحتلال الجرماني والسكان الأصليين في الغرب الروماني. بالتالي كان من السهل عليهم المشاركة في أعمال مدنية غير عسكرية، والمساهمة في الحياة الاقتصادية في الشرق.

وقد تحمل الغساسنة جنبًا إلى جنب مع "ستراتيوتاي" _ الفرق النظامية للجيش الروماني _ للشرق مسؤولية حمايته من ثلاثة تهديدات رئيسية: الأول تهديد البدو البربري، والثاني التهديد الأكثر تنظيماً وتركيزاً وتمثل في مملكة الحيرة، والتهديد الثالث، وهو الأخطر، الذي أعطى الغساسنة مكانتهم الخاصة في الشرق الأوسط؛ حيث كانوا يواجهون قوة عالمية – وهي بلاد فارس الساسانية. وفي القرن الرابع، عندما أصبحت المسيحية دينًا قانونيًا، ولاحقًا صارت الديانة الرسمية لبيزنطة، فارتقت مكانة إحدى مقاطعاتها، فلسطين، على الفور إلى أرض مقدسة، أصبحت عاصمتها مدينة القدس عاصمة الإمبراطورية المسيحية الروحية بأكملها، وقبلة الحجاج من كافة أرجاء الامبراطورية. وهكذا، كان لفلسطين وأبرشية المشرق التي تقع في القدس أهمية روحية كبيرة، وتحمل الغساسنة العبء الأكبر للدفاع عن الأرض المسيحية المقدسة، لأنهم كانوا توطنوا المقاطعات الثلاث التي كانت تحيط بها. وكانت المساهمة الأكبر هي حماية قطاعات مهمة من طرق التجارة الدولية، خاصة الجزء الأخير من طريق الحرير الذي كان يربط الشرق الأقصى وآسيا الوسطى مع عالم البحر الأبيض المتوسط عبر بلاد ما بين النهرين[٤٩].

خامسًا: النتائج

* تحقق "للحارث ابن جبله" كل ما أراده من الإمبراطور، وبالتالي يمكن الحكم على الزيارة بأنها ناجحة.

* أشار "جون الأفسوسي" إلى أن "الحارث بن جبلة" عندما ذهب للمدينة الملكية؛ توسل للإمبراطورة "ثيودورا" لتعيين اثنان أو ثلاثة من الأساقفة في أسقفية سوريا[٥٠]، مما يشير للدور السياسي والديني البارز للإمبراطورة مع العرب في تلك الحقبة الزمنية.

* اختلفت المصادر في تحديد أهداف الزيارة؛ ففي حين ركز "ثيوفانيس" على الجانب العسكري، أبرز "جون الأفسوسي" الجانب الديني وأسهب في رصده.

* كانت الظروف مهيأة لتجعل من الذهاب إلى عاصمة الأمبراطورية البيزنطية محاولة يمكن أن يكتب لها النجاح؛ فالعلاقات متوترة بين بيزنطة وفارس، والمناوشات مستمرة بين ممثلي الدولتين _ الحيرة والغساسنة _ في شمال شبه جزيرة العرب، وقد أبرز مؤرخي عصر "جستنيان" بالجهود الحربية للحارث في الجبهة الشرقية[٥١].

---

٤٩) Irfan Shahid, *Byzantium and the Arabs in the sixth century*, Volume II, Part 2: Economic, Social, and Cultural History, (Washington, D.C., 2009), P. 6- 7.

٥٠) John of Ephesus, *Lives of the Eastern Saints, Vol .III, p. 238.*

٥١) كتب بروكوبيوس مستفيضا عن دورهم في إحدى المعارك" والآن فإن تعداد الجيش البيزنطي صار يبلغ نحو عشرين ألفا من المشاة والفرسان، وكان من بينهم ما لا يقل عن ألفين من سكان إيسوريا وكان قادة الفرسان جميعهم هم الذي حاربوا سابقا في موقعة داراس مع ميرانيس والساسانيين، في حين كانت المشاة تحت إمرة أحد أفراد الحرس الشخصي للامبراطور جستنيان، ويسمى بطرس. ومع ذلك فإن الايساوريين كانوا تحت قيادة لونجينوس واستيفاناكيوس. كذلك فقد انضم الحارث إليهم مع جيش الساراقينيين. Procopius, *History of the wars*,,(I.XVIII.1- 8) P.161- 163

* ربما لم تكن هذه الزيارة الأولى للحارث إلى القسطنطينية، فربما قبل ذلك تم دعوته إلى العاصمة لمقابلة الامبراطور، وحضور مراسيم الحصول على لقب شريف، كما تلاها زيارة أخرى للمنذر، كما كان لامرئ القيس(٥٢)، زيارة سجلتها الأشعار، أيضا سفارة عمرو بن هند ملك الحيرة إلى بلاط الإمبراطور جستين الثاني(٥٣)، كما تعددت زيارات ملوك الغساسنه لبلاط العاصمة البيزنطية، وإن اختلفت أهداف الزيارة أحيانا، وتشابهت في أحيان أخرى على حسب طبيعة العلاقات بين الجانبين، التي تباينت ما بين شد وجذب، وسلام وصراع، فهناك زيارات ثلاث تم رصدها لحكام متتابعين من ال غسان إلى القسطنطينية وهي: زيارة الحارث بين جبلة، ثم ابنه المنذر، ثم حفيده النعمان خلال تلك الحقبة الزمنية من حكم الغساسنة(٥٤).

قائمة المصادر والمراجع

المصادر الأجنبية:

- *John of Ephesus, Lives* of the Eastern Saints, by John of Ephesus. Syriac text, English translation and notes by E. W. Brooks, Vol. III, (Paris, 1926).
- Malalas, *the chronicle of John malalas*, trans. Elizabeth Jeffrey and Michael Jeffrey (Melbourn , 1986).
- Procopius, *History of the wars*, H.B.(Henry Bronson) Dewing. William Heinemann; The Macmillan Co. ;(Harvard University press. London; 1914- 1928)
- Theophanes, *The Chronicle of Theophanes Confessor: Byzantine and Near Eastern history*, A.D. 284-813, Transl. C.Mango and R. Scott (Oxford, 1997).

المصادر المترجمة:

– ميخائيل السرياني، *تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير بطريرك أنطاكية*، عربه عن السريانية/ مارغريغوريوس صليبا شمعون رئيس أساقفة الموصل وتوابعها، أعده وقدم له/ مارغريغوريوس يوحنا ابراهيم، دار ماردين، ١٩٩٦، ج ٢.

– يوحنا الأسيوي، *تاريخ الكنيسة*، الكتاب الثالث الأجزاء الثالث والخامس والسادس، ترجمها من السريانية وعلق عليه/ صلاح عبد العزيز محجوب إدريس، تقديم ومراجعة/ محمد خليفة حسن، المجلس الأعلى للثقافة (٢٠٠٠).

ثم استرسل فكتب:" وبعد ذلك شكل بليساريوس الفيلق بجبهة واحدة، ونظم جنوده على النحو الاتي: فوضع كل المشاة في الجناح الايسر جهة النهر، في حين وضع في الجناح الايمن _ حيث ترتفع الأرض بحدة_ لحارث وجميع من معه من السارقينيين ..." Procopius, *History of the wars,* P.167 (I. xviii 20– 27)

٥٢) امرؤ القيس نسبه وأخباره انظر: أبي الفرج الأصفهاني، *كتاب الأغاني*، (القاهرة: دارالكتب المصرية، ١٩٣٦)، ج٩، ص ص٧٧_ ١٠٧.

٥٣) عندما تولى العرش جستين الثاني، حاول الملك عمرو بن هند أن يؤكد حضور دولته المتميز، فارسل وفداً مؤلفاً من أربعين شخصاً لتهنئة الامبراطور الجديد والتفاوض معه حول بعض المسائل التي تهم الدولتين، إلا أن الامبراطور طلب أن تقتصر المقابلة على رئيس الوفد فقط؛ لأنه كان يأنف من العرب، وأن علاقته معهم لا تليق بمقامه الجليل، غير أن ممثل اللخميين رأى أنَّ من الضروري الحفاظ على التقليد الذي أتبع أيام جستنيان بتقديم جميع الشخصيات المرافقة للسفير إلى الامبراطوري، ورأى أنه ليس من اللياقة أن يمثل أمام الامبراطور بمفرده، فامتنع عن المثول بمفرده. أحمد حسين حسن احمد، ونادية محمود فرحان "أوجه الصراع البيزنطي الساساني تجاه القوى العربية المناذرة والغساسنة في عهد جستين الثاني ٥٦٥– ٥٧٨م" ، ص ٢٦.

٥٤) للمزيد انظر: سهام محمد عبد العظيم،"زيارات ملوك الغساسنة للقسطنطينية ٥٦٣–٥٨٣م"، *مجلة بحوث كلية الاداب–جامعة المنوفية*، العدد ٩٢، (يناير ٢٠١٣م)، ص ص ٢٢٩– ٢٥٠.

المصادر العربية:

- أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠ هـ)، تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم [ت ١٩٨٠ م]، (مصر: دار المعارف ، ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧ م) المجلد الثاني.
- أبي الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني ، (القاهرة : دار الكتب المصرية ، ١٩٣٦) ، ج ٩ .
- حمزة بن الحسن الأَصْفَهاني (المتوفى: ٣٦٠ هـ)، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، (بيروت : دار مكتبة الحياة ، ١٩٦١م).
- عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي (ت ٧٤٩هـ)، تاريخ ابن الوردي، (لبنان / بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م)، ج١.
- وهب بن منبه، التيجان في ملوك حمير، تحقيق ونشر/ مركز الدراسات والابحاث اليمنية، (صنعاء، ١٩٧٩).

المراجع الاجنبية:

- Hoyland, R. G., *Seeing Islam As Others Saw It A Survey and Evaluation of Christian, Jewish and Zoroastrian, Writings* on Early Islam (the Darwin Press, Inc. Princeton, New Jersey ,1997),
- Irfan Shahid, *Byzantium and the Arabs in the sixth century*, Volume I Part 1: Political and Military History,(Washington, D.C., 1995).
- Irfan Shahid, *Byzantium and the Arabs in the sixth century*, Volume II Part 2: Economic, Social, and Cultural History, (Washington, D.C., 2009).

المراجع العربية و المترجمة:

- إبراهيم أحمد العدوي: الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية،(مكتبة نهضة مصر، ١٩٥١م).
- إبراهيم أحمد العدوي، الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم، (رياض الصالحين، ١٩٩٤).
- إبراهيم عوده عواد الخالدي، وموسى أحمد مخاط بني خالد، مظاهر الحضارة والعمران في المملكة الغسانية في جنوب بلاد الشام في الفترة ما بين القرنين الرابع إلى مطلع القرن السابع الميلاديين، رسالة ماجستير، جامعة ال البيت، المفرق، ٢٠٢٠.
- أحمد حسين حسن أحمد و نادية محمود فرحان" تجارة الحرير والصراع الفارسي البيزنطي في عهد جستنيان ٥٢٧– ٥٦٥، "مجلة جامعة الانبار للعلوم الإنسانية،ع ٤، ٢٠١٣، ص ص٢٩–٤٩.
- أحمد حسين حسن احمد، ، ونادية محمود فرحان " أوجه الصراع البيزنطي الساساني تجاه القوى العربية المناذرة والغساسنة في عهد جستين الثاني ٥٦٥– ٥٧٨م" مجلة الأنبار للعلوم الإنسانية، ع١ (٢٠١٤) ٢٢–٣٧
- أسد رستم ، الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب،(لبنان: دار المكشوف، ١٩٥٥) ج ١.
- ثيودور نولدكه، أمراء غسان من آل جفنة، ترجمة/ بندلي جوزي و قسطنطين زريق (بيروت : المطبعة الكاثوليكية، ١٩٣٣)
- جهاد يوسف عبدو، وخضر آدم عيسى، السياسة الخارجية للغساسنة من سنة ٤٦٠ إلى ٦٣٦ م، رسالة ماجستير، جامعة النيلين، الخرطوم، (٢٠٠٢).
- حاتم عبدالرحمن حاتم الطحاوى،"البحر الأحمر في المصادر البيزنطية :القرن السادس الميلادي "مجلة كلية الآداب جامعة الزقازيق، ع ٥٥، (٢٠١٠) ص ص ٧١–١٠٨.

- خالد صالح العسلي، "العلاقات السياسية بين المناذرة والغساسنة" العرب مج ٦، ع ٩، (١٩٧٢) ص ص٦٩٣ -٧٠.
- سهام محمد عبد العظيم، "الاستراتيجية والتكتيك العسكري البيزنطي في عهد جستنيان" مجلة المؤرخ المصري، ع ٣٣، (٢٠٠٨): ص ص ٥٧- ١١٦.
- سهام محمد عبد العظيم، "زيارات ملوك الغساسنة للقسطنطينية ٥٦٣-٥٨٣م"، مجلة بحوث كلية الاداب- جامعة المنوفية، العدد ٩٢، (يناير ٢٠١٣م)، ص ص ٢٢٩-٢٥٠.
- شكران خربوطلي، و يونس محمد، "العلاقات السياسية البيزنطية الغسانية في القرن السادس الميلادي" مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية – سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مج٣٩ ع٢ (٢٠١٧)، ص ص٣٣٣ -٣٤٤.
- طارق منصور، "فتوح الشام وفلسطين في ضوء حولية ثيوفانيس المعترف: دراسة في إيديولوجية المؤلف تجاه الإسلام" ، المؤرخ العربي، مارس – ٢٠٠٦.
- طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي البيزنطيون والعالم الإسلامي، (مصر العربية للنشر: القاهرة، ٢٠٠٣).
- عبدالسلام محمد الكيلاني، "رحلة امرئ القيس إلي بيزنطة."مجلة روافد المعرفة،ع٧ (٢٠٢٠) ، ٢١-٣٩.
- كلوديا خالد عبيد جديع، وموسى أحمد مخاط بني خالد، بلاد الشام في العصر البيزنطي (القرن الرابع إلى منتصف القرن السابع ميلادي) ، رسالة ماجستير، جامعة ال البيت، المفرق، ٢٠١٨.
- مالك حايف محمود الجبوري و محمد نايف جريوان العمايرة، دور المماليك العربية في الصراع الساساني البيزنطي ٢٢٦- ٦٣٧م، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، الأردن، ٢٠١٥.
- محمد الرابع الحسني الندوي، "حكومات جزيرة العرب: البطراء، تدمر، كندة، الحيرة، غسان، حمير وتبع" البعث الإسلامي، مج ٦٢، ع٢، (٢٠١٦) ص ص٤٠- ٤٦.
- محمد عثمان عبدالجليل، "السامريون في فلسطين وعلاقتهم بالدولة البيزنطية ٣٠٥-٦٣١ م. "مجلة المؤرخ المصري، ع٢٨(٢٠٠٥)، ص ص ٧٥-١٠٦.
- محمد فتحي الشاعر، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي عصر جوستنيان، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩).
- نينا فكتورفنا بيغوليفسكيا، العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي، ترجمة صلاح عثمان، (المجلس الوطنى للثقافة، ١٩٦٤).